حين تفقد مدينتك ... يجب أن تتعلم مهنة تنظيف البيوت

صباح يوم الثلاثاء كان موعدي الأول مع شخص من الحكومة الهولندية "موظف البلدية"

هو موعدي الرسميّ الأول مع شخص من الحكومة : مما جعلني أشعر أنني أسير على الطريق الصحيح لأكون جزءاً من هذا المجتمع ، أنا من طلب هذه المقابلة لأنني سمعت أن البلديّة قابلت جميع أصدقائي باستثنائي أنا ، ربما لأنني أسكن في منطقة نائية عن تجمّع اللاجئين الجدد .. ربما لأن منطقتي لا يوجد فيها لاجئين ، و ربما لم يأت دوري بعد.

ماذا تعني مقابلة المسؤول في بلدي :

يمتاز هذا النوع من المقابلات في بلدي بالرسمية و الخوف نوعاً ما ، يجب أن تكون دقيقاً و مباشراً و تدرس الوقت بما يتناسب مع الموضوع، و لأنني كنت أعمل صحفية ... تعلّمت كيف أقسّم الوقت حسب المواضيع الأكثر أهمية.

حملت معي أوراقي الثبوتيّة و بعض رسائل البلديّة و مشروعي الخاص الجديد، وقررت أن أكون قويّة و متماسكة، فكرت بالأشياء الإيجابية و كيف لصوتي أن يعود ثانية على الهواء مباشرة، اشتقت للاستوديو ، ولمقابلة الناس في الشارع، فكرت في عدد المقابلات التي سأجريها مع الناطقين بلغتي، وكم عدد القصص التي سأنشرها.

بدأت بسرد تاريخي "الذي عرفت أنه ليس مهما من ملامح وجه الموظّف" فانتقلت مباشرة لحاضري، فهو الأهم.

بادر الموظف بالسؤال المباشر و الغاضب بعض الشيء:

-لماذا لا تتحدثين الهولندية؟

-أنا أذهب إلى المدرسة منذ شهرين فقط و لم أتحدث اللغة مع أحد.. أنا أحفظ كلمات مجرّدة دون جمل كاملة، أعتذر عن تقصيري و أعدك أن أتحدث معك الهولندية في الموعد القادم.

-بدأ بتحدث الهولندية وبدأت أفقد الفهم لمعنى ما يقول.

حاولت أن أعيد المحادثة مجددا للغة الانكليزية.

أجابني الموظّف: يجب أن تتحدثي لغتنا، أنت في مبنى حكومي، قالها بغضب و شرب من كأس الماء أمامه .

حاولت بعدها أن أقفز للموضوع الرئيسي الذي توقّعت أن يكسر الجمود و أخفي خجلي من جهلي باللغة.

شرحت للموظف خطتي بإنشاء موقع إلكتروني ومجلة ناطقة باللغة العربية و الهولندية و بمساعدة من أصدقائي الهولنديين و العرب القدامى.

أعلم أن الشعوب العربية مولعة بالقصص و لكل منا قصصه الخاصة و في الشرق الأوسط عموماً نحب مشاركة هذه القصص "تعلمت هذا من عملي في الراديو المحلي لمدينتي حلب" و لاحظته في معظم البلدان العربية التي زرتها كمصر و ليبيا وتونس و الإمارات.

قال لي مرة أحد الصحفيين الكبار في العالم العربي :" تكسبين صديقاً حين تشاركينه قصة"

شرحت للموظف أنني أنوي ترك الناس تسرد قصصها بالإضافة لتزويدهم بالمعلومات عن هذا البلد الجميل، و مع الوقت سوف يكون لمشروعي جانب ربحي بسيط يكفيني كي أتوقف عن أخذ المال من الحكومة.

لن أطيل عليك شرح ما قلته للموظف و التفاصيل التي خضتها معه، والاوراق التي قدّمتها كدراسة للمشروع، يكفيك أن تعلم أنه قاطعني بجملة واحدة ، غيّرت من تفكيري تماما.

ما هي خطتك رقم ب

- ماذا تقصد بالخطة ب
- ماذا امتهنتِ إلى جانب الصحافة ؟
- أعمل منذ عشر سنوات كصحفية !! لا أعرف أن أعمل شيئا مختلفاً و لم أجرّب تعلم شيء مختلف ؟؟
- يجب أن تتعلمي شيئاً جديداً ، أملك في الحصول على عمل صحفيّ هنا شبه مستحيل، توجهي لتعلم التنظيف مثلاً، مهنة لا تحتاج الكثير من الخبرات و هي جيدة للنساء!

حاولت مرة أن أعمل في مطعم بتنظيف الصحون و لأنني أتحدث الانكليزية رشحني مالك المطعم لتقديم الطلبات للزبائن، يومها فشلت في ذلك لأنني أفتقر الخبرة في هذا النوع من العمل ، في سوريا ندرس سنتين لنعمل بخدمة الزبائن.

فقدت مدينتي للمرة الثانية:

لم استطع أن أمنع نفسي من البكاء، و شعرت أن هواء الغرفة قد نفذ، و لأول مرّة شعرت أنني فقدت مدينتي التي أحب حلب، لا أعلم تحديداً لمَ ربطت وقتها مدينتي بحلمي،

لم أبك لأنني لا أحب العمل في التنظيف، بل لأنني لم أتعلمه منذ الصغر، لم أسمع نصائح أمي حين كانت تطلب مني أن أساعدها في الأعمال المنزلية، لم أفكّر أن أمتهن و أتعلم مهارة أخرى إلى جانب عملي كصحفيّة.

الخطوة رقم 2:

أحضر لي الموظف كأسا من الماء كي أهدأ ، شربت منها ما استطعت، و جمّعت الجمل باللغة

الهولندية.

-علّمني كيف أعمل في تنظيف البيوت و الفنادق ، أريد أن أتوقف عن أخذ المال من الحكومة فوراً، أريد أن أعود إنسانة طبيعية ومنتجة، أدفع ضرائبي للدولة كشكر و عرفان لحمايتي كلاجئة.

في لغتنا نقول " إذا أهديتكَ كيسا من الخبز و طلبتُ منك ألّا تأكل من القطعة المقسومة سلفاً و لا تقسم القطعة الكاملة و أقول لك أنني أهديتك خبزا لتشعر بالشبع " كيف لك أن تأكل ؟ و كيف لك أن تشبع!! إذا أنا لم أعطيكَ شيئاً ، أنا وضعتك في أحجية قديمة لتدور حول نفسك.

علّمتني الحرب أن أقف وحدي:

خرجت من الموعد و أنا أبكي ، توجهت لمنزل صديقتي و زوجها و الذي يبعد عن بيتي حوالي الساعة بالباص، أردت التكلم مع أحد ما عمّا جرى، أردت أن أسألها عن وسيلة لأتعلم تنظيف البيوت، أردت أن أبكي بلغتي العربية.

في اليوم التالي وصلني بالبريد رسالة تطلب مني أن أخضع لدورة تدريبية لأتعلم منها إدارة مصاريفي الخاصة، لأتعلم كيف لي أن أصرف الـ270 يورو التي تصلني شهرياً، ضحكت كثيراً عند استلام هذه الرسالة و زاد إصراري على تعلّم مهنة التنظيف.

في المساء زارتني صديقتي و زوجها وهما خريجان جامعيان بشهادات خبرات معتمدة دوليا وهي تبكي أيضاً، أعرف صديقتي من سوريا، جمعتنا نفس المدينة ، عملنا بجد في مدينتنا حلب في الأعمال التطوعية ، وعملت هي في منظمات المجتمع المدني،

قابل أصدقائي ذات الموظّف و قدّما له مشروعا متكاملاً يضمن أن يتوقّفا عن أخذ راتب شهري من الحكومة، ورفض

و بعد لقائه، أتوا إلى منزلي لنبكي سوياً و نفكّر جميعنا كيف سنتعلّم مهنة التنظيف.

ماذا يعني أن تأخذ المال من الحكومة بالنسبة لي و لماذا يجب التوقف عنه؟

-أخذك المال من الحكومة يعني سؤالك المستمر عن مصاريفك أين ذهبت ؟ ولماذا؟

-حين تتوقف عن أخذ المال من الحكومة تستطيع اختيار المهنة التي تتناسب مع خبراتك السابقة و دراستك وبالتالي سوف تعمل ما تحب، و لا يُفرَض عليك أن تحبّ ما تعمل.

-التوقف عن أخذ مال الحكومة يعني أن تتحول إلى إنسان يحترمه المجتمع و ينظر له بندّية، وليس كأنه لصّ جاء ليأخذ أموال من يعملون.

دعني أختصر لك الفكرة : في بلدي يُقال أن العمل عبادة، و هذا يعني أن تعمل لتشعر أنك لاتزال على قيد الحياة و الإنتاج الاجتماعي.

-توقفك عن الاعتماد على أموال الحكومة، يعني أن لا تكن خائفا من مقابلة موظّف البلدية و أن يبدأ جيرانك بإلقاء التحية عليك صباحاً.

كيف يمكن أن تصل لهذه المكانة ؟

من المكلف جداً على ما اعتقد إخضاع اللاجئين الجدد لدورات تعلّمهم مهناً لا يعرفونها من قبل، من الأجدى حسب رأيي الخاص أن يتم دراسة خبراتهم حسب شهاداتهم الجامعية و ترشيح المناسب منها، بعد تدريبهم بشكل مكثّف و كلّ حسب اختصاصه.

أعلم أن ما سبق ربما يغضبك عزيزي القارئ بعض الشيء لأنني ضيفة جئت لبلدك و لا تعلم الوقت المتوقع لمغادرتي، ولأنني أنا أيضا لا أعلم كم سأبقى هنا، يجب أن أعرف ما هو لي و ما عليّ

أعتقد أن غالبية دورات الاندماج الاجتماعي تعلمني ما علّي من واجبات تجاه هذا البلد الجميل، وهي ضرورية لأعرف أكثر عن واجباتي.

لكنني و كل اللاجئين الجدد لا نعلم ما لنا ! ما هي حقوق اللاجئ الجديد و كيف يستطيع أن يطالب بها !

في ال8 كامبات التي غيّرتها حتى حصولي على منزلي النائي : تحدّث معي العديد من موظفي الإيواء وعلّموني العديد من الأمور الهامة ومنها: "لا تجلسي بحذائك على قاعدة المرحاض، لا تنظفي الممرات باستخدام خرطوم الإطفاء، لا تقطفي الفطر السام من الغابات المجاورة، لا ترعبي الأرانب الموجودة في الغابة، لا تقتلي العناكب الموجودة في الغرفة، نظّفي غرفتك و الحمامات المشتركة مع المبنى، و لا تتدافع في دور توزيع الطعام مع زميلك "

لم يعلّمني أحد منهم ماهي حقوقي كلاجئة إن وجدت، هل يحقّ لي الاعتراض؟ هل يحقّ لي النقض؟ هل يحقّ لي كتابة هذا المقال؟ هل سوف يتم نشره؟ هل سوف يكرهني موظف البلدية إن قرأه؟

هل سوف يكرهني القارئ الهولندي و يعتبر أنني أتمرّد في بلد غريب ؟

هل يجب أن أمحو ما كتبت و أبحث عن أحد يعلّمني التنظيف ؟

و أخيراً... هل سوف تعيدونني لبلدي ثانية ؟

إن كان نعم ... يجب أن أفكر بمهنة تتناسب مع بلدي

في الحقيقة ... من الصعب أن أنسى عشر سنوات من العمل الصحفي ...لأن الصحافة نمط تفكير في الحياة و ليست مهنة لجني المال، أعلم أن الصحفيين هم الفقراء و أنها مهنة المتاعب ... و أنا قبلت بذلك منذ البداية.

ربما سأبدأ بتعلّم مهنة جديدة لأضمن معها الحياة الكريمة هنا ... و سأستمر في الكتابة بكل لغة

أعرفها و سأتعلّمها....

علّمتني الحرب في بلدي

أن الانكسارات في الحياة واردة و بناء حياتك من جديد يجعل منك شخصاً عنيداً بالفطرة، لأنك نجوت من موت مؤكّد، و يجعل منك شخصاً سعيداً و مندهشاً بالتفاصيل طول الوقت، لأنّ الحياة منحتك فرصة أخرى فتحاول استغلالها.

سأفكر في مقالتي التالية في الوقت الذي أتعلّم فيه تنظيف البيوت، وسأستمر بالكتابة إليك، إلى أن أصل لوقت أكتب لك بلغتك، سوف أتلعثم في كتابة مقالتي الأولى باللغة الهولندية، سوف تقرؤني و إن وجدت بعض الأخطاء سوف تساعدني على تصحيحها .